

على هامش الهجرة

فيوم الثلاثاء الموافق ١٩ من المحرم ١٣٩٩ هـ - الموافق ١٩ ديسمبر ١٩٧٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

على هامش الهجرة

أيها المستمعون الكرام من المؤمنين والمؤمنات

بسم الله أفتح كلامي معكم فى موضوع المحاضرة ، وسيكون حديثي فيها بإذن الله على هامش الهجرة التى شاء الله أن تكون أساسا قويا لقيام الإسلام واستحكامه فى المشارق والمغارب وانتشاره بين العرب والعجم وقد بدد سبحانه بنور الإسلام ظلمات الكفر والجهالة وثبت به عقيدة التوحيد الخالص ، وأظهر به العدل والإحسان فى المجتمع ، ونهى به عن الفحشاء والمنكر ، ليعيش الناس فى سعادة تامة فى دينهم ودنياهم ، وسبحان ربي من رءوف رحيم بعباده حيث قال فى سورة المائدة (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) .

ثم أنى أحمد الله الكريم الذى أكمل ديننا وأتم علينا نعمته ورضى لنا الإسلام ديننا ، وأصلى وأسلم على سيدنا ومولانا محمد رسول الله الذى جاءنا على يديه الهدى ودين الحق ، وكنا ببركته واتباعنا له صلى الله عليه وسلم خير أمة أخرجت للناس ، لأنه أعظم الرسل الكرام فجزاه الله عنا خير ما جزى به نبيا عن قومه ورسولا عن أمته ، وأسترضى الله عن آله الكرام البررة ، وصحبه الغر الميامين ، الذين نصرروا الله ورسوله حتى ثبت دين الله فى الأرض ، وشرفنا سبحانه باتباعه من بعدهم ، ورضى الله عن شيوخنا الأجلاء الذين نتهدى بهم إلى سلوك الصراط المستقيم والتحلى بأداب الدين ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما .

هذا ، وأجد واجبا على أن أشكر الجمعية التعاونية للبترول فى شخص الأَخ الفاضل الأستاذ أحمد غنيم ، عضو مجلس الإدارة ، الذى أتاح لى بدعوته الكريمة أن أجمع بكم فى هذه الساحة المباركة التى التقيت بكم فيها كثيرا من قبل ، لأحاضر بكم بمناسبة احتفال الجمعية بالعام الهجرى الجديد ، أعاده الله علينا وعليكم وعلى المسلمين أجمعين باليمن والبركات وسعادة الدارين ، آمين .

وقد استحسننت أن يكون حديثى فى هذه الليلة على هامش الهجرة ، واخترت بعض الآيات القرآنية وعقبت عليها ، كما اخترت وقائع بعض المهاجرين والمهاجرات لتقفوا على ذكرياتهم . وليكون لنا من تلك الذكريات المجيدة العظات البالغات ، والنفحات الغاليات المباركات ، بعون الله وتوفيقه ، رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

المهاجرين الصادقون :

مدح الله تعالى سادتنا المهاجرين فسماهم الصادقين فى قوله الكريم فى سورة الحشر (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) وقد أثبت الله سبحانه بهذه الآية لسادتنا المهاجرين أوصافا خالدة زكاهم بها وهى :

أولا . إنهم آثروا الله سبحانه عما سواه من الديار والأموال التى يتعلق بها سواهم تعلقا كليا فيما جبلت نفوسهم البشرية عليه .
ثانيا . إن إيثارهم الله تعالى عما سواه إنما قصدوا به رضاه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

ثالثا . إنهم اعتزوا بالإسلام فنصروه ، وفي نصر دين الله نصر الله عز وجل لأنه سبحانه يقول (إن الدين عند الله الإسلام) وكذلك في نصر دين الله نصر لمن دعا بأمر الله للإسلام وهو مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكيف لا ينصر سادتنا المهاجرين مولانا رسول الله ، وقد قال تعالى فى سورة آل عمران (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) وإذا كان الإيمان ونصره . صلى الله عليه وسلم . واجبين على النبيين ، فهما أوجب على غيرهم من المؤمنين . وما أعظم الشرف الذى ناله صلى الله عليه وسلم من ربه بهذا الميثاق . وقد قال صلوات الله وسلامه عليه أبد الآبدين : ((ولو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي)) وهو من تحدثه بنعمة الله صلى الله عليه وسلم .

رابعا . إنهم صدقوا فى اعتقادهم وشهادتهم بأن لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، وأداهم صدقهم هذا إلى حب الله تعالى بكلياتهم وجزئياتهم . وأحبوا بحبه سبحانه رسوله الذى دعاهم إلى تلك العقيدة الصحيحة وهداهم إليها ، وقاسى الشدائد فى نشرها وضحى معهم بل وقبلهم فى سبيلها بالهجرة وترك الأهل والوطن ابتغاء مرضاته وإيثارا لله تعالى على ماسواه لأن ما عند الله خير وأبقى .

خيرية الصحابة الكرام :

ومع أن الأمة المحمدية هى خير الأمم جميعها ، ونالت شرف الخيرية بمتابعة خير الرسل الكرام وأعظمهم شأنًا وأعلاها مجدا وأبقاهم دعوة ،

إلا أن قرون الأمة تتفاضل فيما بينها كذلك . ولهذا قال صلى الله عليه وسلم :
(خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم " فصار الصحابة الكرام
أفضل القرون ، يليهم فى الفضل التابعون الذين أدركوا الصحابة يليهم
تابعوا التابعين الذين أدركوا التابعين .

وإنما صار الصحابة الكرام خير القرون فى الأمة المحمدية بعشرتهم
لشخصه صلى الله عليه وسلم . وهو ما يسر لهم التأسى به فى أقواله وأفعاله
وأحواله ، تنفيذاً لقوله تعالى فى سورة الأحزاب (لقد كان لكم فى
رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر
الله كثيراً) . وعلى قدر حرص المؤمن على الافتداء برسول الله . صلى الله
عليه وسلم . تقوى صلة المؤمن بربه ، ولا عجب فهو صلى الله عليه وسلم
بابنا إلى الله ، ولولاه ما عرفنا الله . وفى طاعته صلى الله عليه وسلم طاعة الله ،
فقد قال تعالى فى سورة النساء (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال تعالى
فى سورة النور (وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين) .
وكما أوجب الله على المؤمنين طاعته صلى الله عليه وسلم ، حذرهم سبحانه
من مخالفته فقال تعالى فى سورة النور (فليحذر الذين يخالفون عن أمره
أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) . كما قال تعالى فى سورة الأحزاب
(وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم
الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) .

المهاجرين فى إيثارهم الله على الآباء والأبناء وذوى القربى :

وكما مدح الله ساداتنا المهاجرين بالصدق . كما سمعتم . فقد مدحهم بإيثارهم
الله تعالى على الآباء والأبناء وذوى القربى ، فقال تعالى فى سورة المجادلة
(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله

ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) . ومعنى حاد الله أى خالفه وعصاه فهو سبحانه ينهى المؤمنين أن يتوعدوا إلى أعداء الله من الكافرين ولو كانوا أقرب الناس إليهم نسبا . ولا يخفاكم أن كنعان بن سيدنا نوح اختار الكفر على الإيمان حين دعاه أبوه إلى ركوب السفينة مع أهل الإيمان وقال له (يا بنى أركب معنا ولا تكن مع الكافرين) فعصاه وقال (ساوى إلى جبل يعصمنى من الماء) فلما أراد نوح عليه السلام أن يشفع لابنه بعاطفة الأبوة وقال فى شفاعته ما حكاه الله فى سورة هود (ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) أى إنك وعدتني أن تنجى أهلى فما بال ابنى لم يكن من الناجين . فقال تعالى ردا على ذلك (قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين) وقوله تعالى (إنه ليس من أهلك) يفيد أن الله تعالى قطع الولاية بين المؤمن والكافر ولو كانت بين الأب وابنه . ولذلك قيل لما قطع الأبن السبب قطع الله عنه شرف النسب ، والسبب هو الإيمان والنسب بنوته لسيدنا نوح عليه السلام . وقد جاء فى تفسير الإمام ابن كثير أن قوله تعالى (ولو كانوا آباءهم) نزلت فى أبى عبيدة بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر ؛ (أو أبناءهم) نزلت فى أبى بكر الصديق حين هم بقتل ابنه عبد الرحمن فى بدر ؛ (أو إخوانهم) نزلت فى مصعب بن عمير حين قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ ؛ (أو عشيرتهم) نزلت فى عمر ، فقد قتل قريبا له يومئذ أيضا ، وفى حمزة وعلى وعبيدة ابن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يوم بدر .

وسام الشرف للمهاجرين :

أقول وما أسمى الوسام الذى منحه الله فى قوله الكريم الخالد (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) . وهذا المقام العالى الرفيع يقابله انحطاط سحيق وعميق لأعداء الله من الكافرين . فقد قال تعالى فى شأنهم فى السورة ذاتها (استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) . وعايذا بالله من الكفر وأهله والشيطان وحزبه .

أول هجرة فى الإسلام :

وكانت أول هجرة فى الإسلام إلى أرض الحبشة . فقد شق على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتعرض المسلمون الأوائل لأذى أقوامهم من كفار مكة فقال لأصحابه : ((لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد . وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه)) . فهاجر فرارا بدينهم . كما قال ابن إسحق . ثلاثة وثمانين رجلا . وكان منهم سيدنا عثمان بن عفان وزوجته سيدتنا رقية بنت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كما كان منهم سيدنا جعفر أبى طالب وزوجته السيدة أسماء بنت عميس رضى الله عن جميعهم .

أوصاف المهاجرين المحمودة ودعواتهم المستجابة :

وما أروع ما بين لنا القرآن الكريم فى آخر سورة آل عمران من أوصاف المهاجرين المحمودة ودعواتهم المستجابة ، وذلك فى قوله تعالى (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى

الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون
فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب
النار * ربنا إنك من تدخل النار فقد أجزيتة وما للظالمين من أنصار *
ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمننا ربنا فأغفر لنا
ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار * ربنا وآتنا ما وعدتنا على
رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد * فاستجاب لهم ربهم أنى
لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض فالذين
هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأذوا فى سبيلى وقتلوا وأكفروا
عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند
الله والله عنده حسن الثواب) .

ولنتأمل أولا فى أوصافهم المحمودة فى ظواهرهم وبواطنهم كما بينها
الله تعالى وهو العليم الخبير الذى لا تخفى عليه خافية ، وإليك البيان :
أولا . وصفهم سبحانه بأنهم عقلاء راشدون ، لأن أولى الألباب
معناها العقول المستنيرة المجلوة الخالصة من القصور والشطط والشك
والزيف ، ولهذا استجابوا للإيمان وأقبلوا على الطاعات التى تقربهم إلى
الله زلفى ، وهذا هو الرشد بعينه .

ثانيا . وكذلك وصفهم بأنهم يذكرون الله ذكرا كثيرا قياما وقعودا
وعلى جنوبهم ، أى قائمين وقاعدين ومضطجعين . وفى ذلك دلالة منه سبحانه
على فضل الذكر الكثير الذى أمرنا به فى قوله الكريم فى سورة الأحزاب
(ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا)
وعنه عليه الصلاة والسلام : ((من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر
ذكر الله)) . ويقول سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما . وهو

حبر الأمة وترجمان القرآن . فى أهمية ذكر الله تعالى كما جاء فى حاشية الإمام الجمل : لم يفرض الله تعالى فريضة على عباده إلا جعل لها حدا معلوما وعذر أهلها فى حال العذر غير الذكر ، فإنه لم يجعل له حدا ينتهى إليه ولم يعذر أحدا فى تركه ، إلا مغلوبا على عقله . فلذلك أمرهم به فى كل الأحوال ، فقال : (فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) وقال (اذكروا الله ذكرا كثيرا) أى بالليل والنهار ، وفى البر والبحر ، وفى الصحة والسقم ، وفى السر والعلانية .

أقول وقد أمر الله كما سمعتم بذكر الله عامة وبالتسبيح خاصة ، ويشمل ذكر الله التسبيح والتحميد والتكبير والاستغفار وتلاوة القرآن والصلاة على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . إلخ ، وقد عبر الله تعالى عن الصلاة بذكر الله فى قوله تعالى فى سورة الجمعة يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) . ليعلمنا بذلك سبحانه أن ما فى الصلاة من ذكر الله هو العمدة فى تفضيل الصلاة عن سائر الطاعات وقد جعل الله الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فى قوله تعالى فى سورة العنكبوت (اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون) ؛ لأن الصلاة سبب للانتهاء عن الفحشاء والمنكر . وسميت صلاة لأنها صلة بين العبد وربيه ، يناجى العبد ربه فى صلاته . ويناجيه فيها ربه جل وعلا .

وتقتضى الصلاة المقبولة من المؤمن الإقبال التام على طاعة الله والإعراض الكلى عن معصيته ، ولذلك قال تعالى فى سورة المؤمنون (قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو

معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون *
إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء
ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأمانتهم وعهدهم راعون . والذين
هم على صلواتهم يحافظون * أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون) .

ومما قال العلماء فى قوله تعالى (ولذكر الله أكبر) أى ولذكر الله
إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته .

وقد دلنا الله تعالى على أن ذكر الله يكون فى الصلاة وفى غير الصلاة
مثل قوله تعالى فى سورة الجمعة (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض
وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) أى لا تخصصوا
ذكره تعالى فى الصلاة ، بل اذكروه كذلك فى غير الصلاة ؛ ويمثل قوله
تعالى فى سورة البقرة (فإذا قضيت مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم
أو أشد ذكرا) . ويقول السادة الصوفية فى لطائف إشاراتهم : أى إذا
انتهيت من مناسك الحج فقد أديت واجب العبادة ، وبقي عليكم بعد ذلك
أن تؤدوا واجب المحبة لأن من عادة المحب أن يكثر من ذكر حبيبه .

أقول : وكان من عادة العرب فى الجاهلية أن يذكروا بعد حجهم آباءهم
بفضائلهم ويتباهون بمكارمهم . فعلمهم الله أن الله تعالى أولى بالذكر من
الآباء ؛ لأنه إذا كان فى الآباء مزايا فهو الذى وهبهم تلك المزايا ، وهو أولى
كمنع أن يذكر قبل غيره . والذكر علامة على تقدير نعمه وفضله ، ولذلك
قال تعالى فى سورة البقرة (فاذكرونى أنذكركم وأشكروا لى ولا تكفرون)
وهو ما يفيد أن شكر الله يقتضى ذكره فإذا ذكرناه سبحانه بأسمائه
الحسنى وبسائر الأذكار من تلاوة كتابه وتسبيح وتحميد وتكبير . . . الخ

ذكرنا عز شأنه بفضله وفيضه ، وزادنا من عطائه ، وكيف لا وهو القائل
فى سورة إبراهيم (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن
عذابى لشديد) . ويقول العلماء : الشاكر على مزيد ، والشكور فى نهاية
المزيد .

وإذا أردنا أن نتبين كيف يذكرنا الله سبحانه بفضله وفيضه ورحمته
وإحسانه ، فلنقرأ قوله تعالى فى سورة الأحزاب (هو الذى يصلى عليكم
وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما * تحيتهم
يوم يقبضونهم وأعد لهم أجرا كريما) . وقد جاءت هاتان الآيتان
مباشرة بعد قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا
وسبحوه بكرة وأصيلا) . وقد جاء فى التفاسير (يصلى عليكم) أى يرحمكم
(وملائكته) أى يستغفرون لكم بأمره تعالى ، (ليخرجكم) أى يديم
إخراجكم ، (من الظلمات) أى من ظلمات الكفر ، (إلى النور) أى إلى
الإيمان . هذا فى الحياة الدنيا ، أما بعد الحياة الدنيا فتتلقاهم الملائكة عند
الموت أو عند الخروج من القبور أو عند دخول الجنة بالسلام عليهم .
وقد روى البخارى ومسلم عن ابن مسعود أنه ((إذا جاء ملك الموت يقبض
روح المؤمن يقول له : ربك يقرؤك السلام)) . وورد أن الملائكة تسلم
على المؤمنين حين يخرجون من قبورهم بشارة لهم وأنها تسلم عليهم فى الجنة
كما فى قوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
بما صبرتم) .

ويلفتنا العلماء إلى ملاحظة لطيفة فى قوله تعالى (ليخرجكم من الظلمات
إلى النور) ، حيث جاء لفظ ((الظلمات)) بالجمع وجاء لفظ ((النور)) مفردا ،
وذلك لحكمة هى أن أنواع الكفر كثيرة ، أما الإيمان فشىء واحد

لا تعدد فيه . وكذلك يلفتنا العلماء لفتة رائعة فيقولون : إنه تعالى يصلى على المؤمنين هو وملائكته مع أنه غنى عنهم وعن طاعتهم . فإذا أمرهم بأن يذكروه ذكرا كثيرا وجب عليهم تنفيذ أمره لحاجتهم لله على الدوام فى الحياة وبعد الممات .

التفكير السليم بعد الذكر الكثير :

وبعد وصفهم بالذكر الكثير وصفهم . سبحانه . بالتفكر الفطرى السليم الذى استدلوا به على أنه لا بد لكل مصنوع من صانع ، ولكل مخلوق من خالق . وهذه الظواهر التى شاهدوها فى السموات والأرض من سموات مرفوعة بغير عمد ، وأرض مبسوطة ، وزروع مختلفة ، ونهار مشرق ، وليل مظلم ، واتفاق فى الجنس بين البشر ، وأختلاف فى الأشكال والألوان واللغات والأرزاق والآجال والعقائد لم تخلق عبثا وباطلا ؛ بل خلقت بحكمة ولحكمة ، وليستدلوا بها على وجوده وعلى وحدانيته وعلى أنه لا بد لها من إله خالق مدبر ، وواحد أحد ، ليس كمثله شىء . لا تدركه الأبصار ، ولا تصل لكنهه العقول ، لا أول لأوليته ولا آخر لآخريته ، يطعم ولا يطعم ، ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن . يخلق لحكمة ويدير الأمر بقدره ، وكما قدر على البدء يقدر على الإعادة ، لا شريك له ولا والد له ، ولا صاحبة له ، ولا مولود له ، ولا وزير له ، ولا معين له ، ولا مشير عليه . كل المخلوقات قهر عظمتة ، بيده ملكوت كل شىء . (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير * تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب) .

وما أصدق ما يقول سيدي الإمام محيي الدين بن عربي حين قال :

أحد ما مثله أحد بجمال النعت منفرد

الذي قام الوجود به أمرنا عليه ينعقد

وما أروع ما يقول إمامنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ،
حين قال .

((عجبت لمن شك في الله وهو يرى خلق الله ، وعجبت لمن شك في الموت وهو يرى الموتى ، وعجبت لمن شك في النشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى ، وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء)) .

وقد هياهم حسن التفكير لأن يستجيبوا لدعوة الحق التي دعاهم إليها مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم والقائمة على أن لا إله الا الله محمد رسول الله ؛ والإيمان معه صلى الله عليه وسلم وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والثواب والعقاب والجنة والنار وسائر الإيمانات . فسألوا الله تعالى أن يغفر لهم الكبائر ويكفر عنهم الصغائر وأن يكتب لهم حسن الخاتمة فيتوفاهم مع عباده المتقين الأبرار . كما سألوه سبحانه أن يجعلهم يوم البعث بيض الوجوه غير خزايا ولا نادمين ، دل ذلك على أنهم صدقوا وعد الله ووعيده . ويحكى ذلك كله قوله تعالى (ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمننا ربنا فاعفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار * ربنا وآتتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) .

بشرى عظيمة من رب رحيم للمهاجرين :

وما أنماهم باستجابة دعواتهم هذه ، فقد قال تعالى بعد ذلك (فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأذوا فى سبيلى وقتلوا ولأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب) . وإذا قال تعالى (ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار) فقد طمأنهم على أنهم ناجون من النار ومن الخزي بين يديه يوم القيامة استجابة لما طلبوه فى دعواتهم حين قالوا فيما قالوا (ربنا ما خلفت هذا ياطلا سبحانك فقنا عذاب النار * ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيتة وما للظالمين من أنصار) .

وفى قولهم (إنك لا تخلف الميعاد) إبراز ليقينهم بالبعث بعد الموت . فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : الميعاد البعث بعد الموت أما تكريهم النداء بقولهم خمس مرات ربنا فيدل على حسن أبتهاهم ولجوئهم إلى ربهم الفعال لما يشاء .

وقد قال سيدنا الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه : من حزيه أمر فقال : ((ربنا)) خمس مرات أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد . واستدل على الاستجابة بهذه الآيات التى تكرر فيها قولهم ((ربنا)) خمس مرات ثم قال تعالى بعدها (فاستجاب لهم ربهم . . .) .

وقال بعض السلف الصالح : إنى لأعلم متى يستجاب لى . قالوا : ومن أين تعلم ذلك ؟ قال : إذا اقشعر جلدى ، ووجل قلبى ، وفاضت عيناي ، فذلك حين يستجاب لى .

وإذا تأملنا فى دعواتهم التى دعوا بها رأينا أنهم سألوا الله تعالى أولا أن ينجيهم من النار التى يخزى الله الداخلين فيها يوم القيامة ؛ ثم عقبوا فدعوا ربهم أن يغفر لهم الكبائر ويكفر عنهم الصغائر . واستندوا فى هذا الطلب إلى أنهم استجابوا لدعوة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فآمنوا بالله ولم يشركوا به شيئا بعد أن كانوا مشركين . ووثقوا فى وعد الله الصادق الوارد فى قوله الكريم (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ولهذا سألوه سبحانه أن يحفظ عليهم إيمانهم حتى يتوفاهم عليه ويحشرهم مع الأبرار عليه ، فقالوا (وتوفنا مع الأبرار) . وقد وصف سبحانه الأبرار بصفات المتقين الأطهار ، فقال تعالى فى سورة الإنسان (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا * عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجييرا * يوفون بالندى ويخافون يوما كان شره مستطيرا * ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا * إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا * فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا * وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا * متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا * ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا * ويطاف عليهم بأنيابة من فضة وأكواب كانت قواريرا * قوارير من فضة قدورها تقديرا * ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا * عينا فيها تسمى سلسبيلا * ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا * وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا * عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا * إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) .

وهؤلاء الأبرار آمنهم الله تعالى من الفزع الأكبر يوم القيامة ،
ووعدهم النجاة من النار ، فقال تعالى فى سورة الأنبياء (إن الذين سبقت
لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون * لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم
الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون) والحسنى هى السعادة أو التوفيق
للطاعات أو البشرى بالجنة . (أولئك عنها مبعدون) أى مبعدون من
النار ، لأنهم سيكونون مرفوعين إلى أعلى عليين فى الجنة . وقد ورد أن
إمامنا عليا ابن أبى طالب كرم الله وجهه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال :
أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد
وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ، ثم أقيمت الصلاة فقام يجر رداءه
وهو يقول (لا يسمعون حسيها وهم فيما أشتهت أنفسهم خالدون *
لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم
توعدون) . والحسيس صوت يحس به ، (خالدون) أى دائمون ، (لا يحزنهم
الفزع الأكبر) أى النفخة الأخيرة لقوله تعالى (ويوم ينفخ فى الصور
ففزع من فى السموات ومن فى الأرض) أو الانصراف إلى النار ،
(وتتلقاهم الملائكة) أى تستقبلهم مهنيين ، (هذا يومكم) أى يوم ثوابكم ،
(الذى كنتم توعدون) أى فى الدنيا .

فضل الله على المهاجرين والمهاجرات :

هذا : ويبدو لنا جليا فضل الله كما يبدو لنا عدله فى قوله الكريم
(فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى
بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى
وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من
تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب) .

أما عدل الله فيتجلى فى قوله تعالى (أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكرأو أنثى بعضكم من بعض) . وقد سجل بهذا للرجال عملهم وللنساء عملهن وسوى بين الجنسين من المهاجرين والمهاجرات ، لأن الجنسين من أصل واحد وينتميان إلى آدم وحواء عليهما السلام ، كما أن الرجل أبن المرأة والمرأة بنت الرجل .

وقد فصل الله ما أجمله من العمل الذى أرضاه عن الذكور والإناث من المهاجرين والمهاجرات فقال تعالى بعد ذلك (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب) . وأثبت الله تعالى بهذا القول الكريم تضحياتهم التى هانت هليهم مع شدتها على النفوس عادة . وإنما هونها عليهم مع شدتها اعتزازهم بعقيدة الإسلام والحرص على التمسك بها مهما ضحوا فى سبيلها من هجرة الوطن وقتال الكفار المعارضين وتعرضهم للقتل فى سبيل الله بسبب إيمانهم بالله ونبذهم الكفر به سبحانه وتعالى .

وأما فضل الله سبحانه فيتجلى فى تخليد المهاجرين والمهاجرات فى نعيم الجنة المقيم الذى لا يفنى ولا يزول ؛ فهم فيما على الدوام لا يهرمون ولا يمرضون ولا يموتون بل يسعدون ولا يشقون . وأعجبوا لنعيم دائم وهبة من فضله تعالى لأهل الجنة عن عمل فى الدنيا معدود ناموا به فى عمر محدود . وصدق سبحانه إذ يقول (ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب) وسبحانه من كريم جواد رءوف بالعباد .

تفاضل الساد الصحابة :

وسادتنا الصحابة هم خير قرون الأمة المحمدية كما علمتم من قوله صلى الله عليه وسلم : خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . يشير بذلك صلى الله عليه وسلم إلى سادتنا الصحابة والتابعين وتابعى التابعين . أقول : ويتفاضل الفضلاء فيما بينهم . وقد قال العلماء إن أفضل الصحابة هم العشرة المبشرون بالجنة وقد مرت عليكم أسماؤهم . فيما قاله إمامنا على بن أبى طالب . وكلهم من سادتنا المهاجرين . وأفضل هؤلاء العشرة الخلفاء الراشدون الأربعة وهم سادتنا أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم . ويقول السادة الصوفية إن الله تعالى وصف سادتنا الصحابة فى سورة الفتح فقال سبحانه (محمد رسول الله والذين معهم أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) . وجا فى إشاراتهم أن قوله تعالى (والذين معه) يشير إلى سيدنا أبى بكر الصديق ، وقوله تعالى (أشداء على الكفار) يشير إلى سيدنا عمر ، وقوله تعالى (رحما بينهم) يشير إلى سيدنا عثمان وقوله تعالى (تراهم ركعا سجدا) يشير إلى سيدنا على ، رضى الله عنهم وعن سائر الصحابة الكرام .

ثانى اثنين :

وما أهنأ سيدنا أبى بكر الصديق يقول الله تعالى فى سورة التوبة (إلا تنصروه فقد نصره الله إذا أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى

العليا والله عزيزحكيم) . وقد جاء فى كتب السيرة النبوية عن الامام الحسن البصرى رضى الله عنه : انتحى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلا ، فدخل أبو بكر . رضى الله عنه - قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلمس الغار لينظر أفيه سبع أو حية ليقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .

وقد علمنا سيدنا أبو بكر رضى الله عنه بدخوله الغار قبل مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليطمئن على خلوه مما يؤذيه صلى الله عليه وسلم وليقيه بنفسه ، كيف نطبق الآية الكريمة التى قالها تعالى فى سورة الأحزاب (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) . وقد جاء فى الصحيح : ((والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين)) .

ولا شك أن أولوية رسول الله على أنفسنا يجب أن تكون فى كل أمر من أمور الدنيا والدين ، وقد عقبنا على ذلك العمل فى كتابى ((رسول الله فى القرآن الكريم)) بقولى :

((رأيت كيف كان الصديق رضى الله عنه يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يفتديه بنفسه . وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما هو حب الله . وما دام الصديق رضى الله عنه قد بلغ الذروة فى حب الرسول الأكرم ، فقد بلغ الذروة فى حب ربه الأعظم ، فكان المؤمن الأول فى هذه الأمة بين المؤمنين ، وقد بلغ عددهم الملايين . وأثبت الله له الصحبة فى كتابه الكريم ، فمن أنكر صحبته فقد كفر ، لأنه يكذب كلام الله)) .

((وحق لأمير المؤمنين عمر رضى الله عنه أن يغبط الصديق على تلك الصحبة فى الغار . فقد يقول منوها بفضل الصديق رضى الله عنه : كنت أحب أن يكون لى يومان من أيام أبى بكر بحياتى كلها ، يوم أن صحب الرسول فى الغار ، ويوم أن خالفنا فى حرب أهل اردة (يشير إلى ما قرره سيدنا أبو بكر فى خلافته من محاربة الذين امتنعوا عن أداء الزكاة . وكان الصحابة يتخوفون من محاربتهم لكثرتهم حيث امتنعت غالبية الجزيرة العربية عن أداء الزكاة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصمم سيدنا أبو بكر على قتالهم وقال قولته المشهورة : ((والله لو منعونى عقال بغير كانوا يؤدونه للنبي صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ، أينقص الدين وأنا حى)) . كما أن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه يقول : رحم الله أبى بكر ، إنه كان سيدنا وأعتق سيدنا (يشير إلى أنه اشترى سيدنا بلال من أمية بن خلف وأعتقه بعد الشراء) . فما أعظم ديننا الذى ساد ويسود به العبيد ولا فضل فيه لعربى على عجمى إلا بالتقوى .

أقول : وما أعجب أمر سيدنا أبى بكر . فقد كان ثانى اثنين فى الإيمان ، وثانى اثنين فى الغار ، وثانى اثنين فى الهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وثانى اثنين فى إمارة الحج (أول أمير للحج كان سيدنا عتاب بن أسيد ولاه مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم إمارة مكة بعد الفتح كما ولاه إمارة الحج فى السنة الثامنة من الهجرة) وثانى اثنين فى الخلافة ، وثانى اثنين فى القبر النبوى الشريف حيث مثوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أنهاه بأسعد جوار فى ذلك المثوى .

أول الرجال إسلاما :

هذا وقد سئل ابن عباس رضى الله عنهما : من أول الناس إسلاما ؟
فقال : أبو بكر الصديق ، ألم تسمع قول حسان بن ثابت :

إذا تذكرت شجوى من أخى ثقة فانكر أخاك أبا بكر بما فعلا
الثانى التالى المحمود مشهده وأول الناس قدما صدق الرسلا
وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعد الجبلا

وقوله رضى الله عنه : صدق الرسلا ، يشير إلى أن من صدق
مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقد صدق بكل الرسل الكرام
عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين .

ومن لطائف إشاراتة يقول سيدي الإمام القشيري رضى الله عنه :
((وفى الآية (إلا تنصروه فقد نصره الله . . .) دليل على تحقيق صحبة
الصديق رضى الله عنه ، حيث سماه الله سبحانه صاحبه ، وعده ثانياة .
فى الإيمان ثانياة وفى الغار ثانيه ، ثم فى القبر ضجيعه ، وفى الجنة
يكون رفيقه .

((وأضاف يقول : قوله تعالى (فأنزل الله سكينة عليه) الكناية فى
الهاء من (عليه) تعود الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويحتمل أن
تكون عائدة على الصديق رضى الله عنه . فإن حملت على الصديق تكون
خصوصية له من بين المؤمنين على الانفراد . فقد قال عز وجل لجميع
المؤمنين (هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين) وقال للصديق على
التخصيص (فأنزل سكينة عليه) كما قال النبى صلى الله عليه وسلم :
((إن الله يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبى بكر خاصة)) .

((وإنما كان حزن الصديق ذلك اليوم لأجل الرسول صلى الله عليه وسلم إشفافاً عليه ، لا لأجل نفسه ، ثم إنه عليه الصلاة والسلام نفى حزنه وسلاه (لا تحزن إن الله معنا) . وحزن لا يذهب إلا لمعیه الحق ، لا يكون إلا لحق الحق (أى إن حزنه ليس حزناً لنفسه ولكنه حزن لحق ربه تعالى)

((ويقال : لما خلا الصديق بالرسول . عليه الصلاة والسلام . فى الغار ، وأشرقت على سره أنوار صحبة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ووقع عليه شعاع أنواره ، واشتاق إلى الله تعالى لفقد قراره ، أزال عنه لواعجه بما أخبره من قريبه سبحانه ، فاستبدل بالقلق سكوناً وبالشوق أنساً ، وأنزل عليه من السكينة ما كاشفه به من شهود الهيبة .))
((ويقال : كان الرسول . صلى الله عليه وسلم . ثانى اثنين فى الظاهر بشبهه (أى بإنسان من البشر) ولكن كان مستهلك الشاهد فى الواحد بسره .

رشد الإمام على وإسلامه فى الصغر :

كان سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه متقارباً فى سنه مع مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو أول من أسلم من الرجال . أما سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه فكان عند إسلامه صغيراً لم يبلغ الحلم ، وهو أول من أسلم من الصبيان الصغار . وكانت قصة إسلامه عجيبة حقاً دلت على رشده المبكر . فقد ضمه إليه طفلاً فى داره مولانا رسول اله صلى الله عليه وسلم (وفاء ومعاونة لعمه أبى طالب الذى

كان يرعى الرسول صلى الله عليه وسلم فى صغره بعد موت جده
 عبد المطلب) . فشهد سيدنا على وهو صبي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ساجدا بين يدي ربه ورأى سيدتنا خديجة أم المؤمنين ساجدة معه ،
 وكان سنه إذ ذاك سبع سنين (وقيل عشر) فسأل مولانا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم عن ذلك السجود . فأعلمه بأمر رسالته الداعية إلى
 التوحيد وعبادة الله تعالى . فرجا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
 يعلمه ذلك الدين . فطلب إليه أن يستشير أباه أولا فى ذلك ؛ ثم عاد
 سيدنا على إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرر رجاءه . فسأله مولانا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أستشرت أباك ؟ فقال فى رشد عميق :
 فكرت فى ذلك فوجدت أن الله تعالى لم يستشر أبى فى خلقتى ، فلم أر داعيا
 يدعونى إلى استشارة أبى فى دين يربطنى بربى ، فأسلم وسعد بالإسلام مبكرا ،
 وتحدث فيما بعد بنعمة الله عليه فى إسلامه المبكر ، فيما تحدث به عن نعم
 أخرى فقال شعرا :

محمد النبى أختى وصهرى	وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يمسى ويضحى	يطير مع الملائكة ابن أمى
وبنت محمد سكنى وعرسى	مشوب لحمها بدمى ولحمى
وسبطا أحمد إبنائى منها	فمن منكم له سهم كسهمى
سبقتكمو إلى الإسلام طرا	صغيرا ما بلغت أوان حلمى
وصليت الصلاة وكنت فردا	فمن منكم له يوم كيومى

قبل بيعة العقبة وبعدها :

قال ابن اسحق : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة

(التي تمت بينه وبين سادتنا الأنصار من أهل المدينة) لم يؤذن له فى الحرب ، ولم تحلل له الدماء . وإنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل . وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين ، حتى فتوهم عن دينهم ، ونفوهم عن بلادهم ؛ فهم ما بين مفتون فى دينه ، ومعذب فى أيديهم ، وهارب فى البلاد فرارا منهم ، ومنهم من بأرض الحبشة ومنهم من بالمدينة .

فلما عتت قريش على الله عز وجل ، وكذبوا بنبيه صلى الله عليه وسلم ؛ ونفوا من عبد الله ووحده ، وصدق نبيه وأعتصم بدينه ، أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى القتال ، والانصارى ممن ظلمهم وبغى عليهم ، فكان أول ما نزل فى إننه فى الحرب قوله تعالى فى سورة الحج : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز * الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه فى سورة البقرة (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) أى لا يفتن مؤمن عن دينه ، وإنما يعبد الله وحده فلا يعبد معه غيره .

إنتشار الإسلام بالمدينة بعد بيعة العقبة :

لما عاد أهل العقبة من الأنصار إلى المدينة المنورة ، أظهروا الإسلام بها . فأخذ المسلمون بمكة يهاجرون سرا إلى المدينة . وقد شجع مولانا

رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه على الهجرة بقوله : (إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا وداراً تأمنون بها) فخرجوا جماعة بعد جماعة ؛ وانتظر مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأذن الله له بالهجرة إلى المدينة ، ولم يبق معه بمكة من السابقين الأولين إلا اثنان هما سيدنا أبو بكر وسيدنا علي رضي الله عنهما .

أول المهاجرين إلى المدينة المنورة :

وكان سيدنا أبو سلمة بن عبد الأسد ، وهو قرشي من بنى مخزوم ، واسمه عبد الله . وهو ابن عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، السيدة برة بنت عبد المطلب ، كما أنه أخوه من الرضاعة . وقد هاجر رضي الله عنه أولاً إلى الحبشة ، ولما قدم مكة من أرض الحبشة أدته قريش . فلما بلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجراً قبل بيعة العقبة بسنة . وقد حضر غزوة بدر ، وحضر غزوة أحد وجرح فيها والتأم جرحه ، ثم عاد الجرح ونغر عليه ومات به . وقد كبر عليه في صلاة الجنازة مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع تكبيرات ، فقالوا : يا رسول الله

: أسهوت أم نسيت (لأن التكبير في صلاة الجنازة أربعة تكبيرات فقط) فأجابهم صلى الله عليه وسلم : لم أسه ولم أنس ، ولو كبرت على سلمة ألفاً كان أهلاً لذلك .

هجرة السيدة أم سلمة :

وإذا كان سيدنا أبو سلمة هاجر في سبيل الله الهجرتين ؛ حيث هاجر أولاً إلى الحبشة في الهجرة الأولى ، ثم هاجر إلى المدينة الهجرة الثانية وقبل بيعة العقبة ، فاستمعوا في عجب وإعجاب لهجرة زوجته أم سلمة إلى المدينة المنورة ، رضي الله عنها .

فقد روى عنها بسنده ابن إسحق قصتها التي قالت فيها :

لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لى بغيره ثم حملنى عليه وحمل معى أبنى سلمة بن أبى سلمة فى حجرى ، ثم خرج بى يقود بغيره فلما رأته رجال بنى المغيرة (أهلها) قاموا إليه فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبك هذه ؟ علام نتركك تسير بها فى البلاد ؟

قالت : فنزعوا خطام البعير من يده ، فأخذونى منه ، قالت : وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبى سلمة وقالوا : لا والله لا نترك ابنتنا عندها إذا نزعتموها من صاحبها (زوجها) قالت : فتجاذبوا أبنى سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلقوا به بنو عبد الأسد ، وحبسنى بنو والمغيرة عندهم ، وانطلق زوجى أبو سلمة إلى المدينة ، قالت : ففرق بينى وبين زوجى وبين ابنى .

قالت : فكنت أخرج كل غداة فأجلس فى الأبطح (جبل بمكة) فما أزال أبكى حتى أمسى سنة أو قريبا منها ، حتى مر بى رجل من بنى عمى . أحد بنى المغيرة . فرأى ما بى ، فرحمنى ، فقال لبنى المغيرة ، ألا تخرجون هذه المسكينة ، فرقم بينها وبين زوجها وبين ولدها .

قالت : فقالوا لى : الحقى بزوجهك إن شئت ، قالت : ورد بنو عبد الأسد إلى عند ذلك ابنى . قالت : فارتحلت بغيرى ، ثم أخذت ابنى فوضعتة فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة . قالت : وما معى أحد من خلق الله . قالت : فقلت أنبلغ (أستعين) بمن لقيت حتى أقدم على زوجى ، حتى إذا كنت بالتنعيم (من ضواحي مكة) لقيت عثمان بن طلحة بن أبى طلحة ، فقال لى : إلى أين يابنت أبى أمية ؟ فقلت : أريد زوجى بالمدينة قال : أو ما معك أحد ؟ فقلت : لا والله إلا الله وبنى هذا

أيها الأحباب : ألا تعجبون معى . من يقينها بالله وحسن توكلها عليه وتضحياتها فى سبيله سبحانه . أعجبوا كيف تفر هذه السيدة بدينها ، وتركب ناقتها نحو أسبوعين مع طفلها الصغير فى صحراء شاسعة حتى تبلغ المدينة مع ما تحتاج إليه الإبل من الخدمة فى إناحتها وحل الحمل عنها ، وطعامها وشرابها ، هذا فضلا عن رعاية طفلها الصغير والكسير .

لاشك أنه موقف يثير العطف والإشفاق ، ولكن الله تعالى أرحم بها من عباده وهو القائل سبحانه (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا) .

فانظر كيف دبر الله لها المخرج دون ترتيب منها ، ولنستمع لبقية كلامها ، فقد قالت ، رضى الله عنها ، قال عثمان : والله مالك من مترك ، فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معى يهوى بى ، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه . كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ، ثم أستأخر عنى ، حتى إذا نزلت ، أستأخر ببيعيرى فحط عنه ، ثم قيده فى الشجرة ، ثم تنحى عنى إلى الشجرة ، فاضطجع تحتها . فإذا دنا الرواح قام إلى بعييرى فقدمه فرطه ، ثم استأخر عنى وقال : اركبى ، فإذا ركبت واستويت على بعييرى ، أتى فأخذ بخطامه فقاده حتى ينزل بى . فلم يزل يصنع بى ذلك أقدمنى المدينة .

قالت : فلما نظر إلى قرية عمرو بن عوف بقباء قال : زوجك فى هذه القرية . وكان أبو سلمة نازلا بها . فادخلها على بركة الله . فكانت رضى الله عنها تقول فى وفاء له : والله ما أعلم أهل بيت فى الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة ، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن أبى طلحة

أيها الأحباب :

ولا شك أنه مما يزيدكم عجباً أن تعلموا أن عثمان بن أبي طلحة كان عندئذ على الكفر ؛ لأنه أسلم في هدنة الحديبية التي تمت في السنة السادسة من الهجرة . وهاجر رضى الله عنه قبل فتح مكة مع خالد بن الوليد . وقد دفع مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الكعبة إليه وإلى ابن عمه شيبه بن عثمان في عام الفتح في السنة الثامنة من الهجرة وقال لبنى شيبه : (خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم) وقد قتل - شهيدا . سيدنا عثمان بن طلحة رضى الله عنه بأجنادين في أول خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

سعادة مخبوءة للسيدة أم سلمة :

وكما أسعد الله سيدتنا أم سلمة بالإسلام الباكر والهجرة الباكرة ، فقد غمرها كذلك بسعادة كانت مخبوءة لها عند الله تعالى حيث سعدت بزواجها من مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت زوجها أبو سلمة رضى الله عنه . ومن طريف ما وقع أنه حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذرت قائلة : يا رسول الله : إنى مسنة وعندى غيرة من النساء وعندى أطفال صغار ، فقال لها فى طرافة ولطافة ، صلى الله عليه وسلم : أما إنك مسنة فأنا أسن منك ، وأما الغيرة فيذهبها الله وأما الأطفال فدعهم لله وللرسول . وأنتم تعلمون أن أزواجه صلى الله عليه وسلم فى الدنيا سيكن أزواجه فى الجنة . فما أسعد سيدتنا أم سلمة بهذا الزواج فى الدنيا والآخرة .

رشد أم المؤمنين أم سلمة :

وسيدتنا أم المؤمنين أم سلمة كانت تتحلى برشد راسخ . فقد رافقت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفره للعمرة الأولى فى السنة السادسة للهجرة . ولما أحصر هو وأصحابه فى الحديبية وأبرم مع أهل مكة الصلح المعروف بصلح الحديبية والذى تضمن تأجيل العمرة إلى سنة قادمة ؛ أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه إن يخلقوا رءوسهم ويعقروا هديهم ، فشق ذلك عليهم وتباطؤوا فى الحلق . فغضب صلى الله عليه وسلم وخاف أن يعاقبهم الله . فلما رأته سيدتنا أم سلمة عرفت الغضب فى وجهه ، فسألته عن سبب غضبه ، فاخبرها أنه أمر أصحابه أن يخلقوا رءوسهم فلم يمتثلوا وأنه يخشى أن يؤاخذهم الله . فرجت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعذرهم . وكانوا يظنون أنهم غلبوا على أمرهم فى صلح الحديبية الذى أبرمه صلى الله عليه وسلم مع كفار مكة ثم أثبتت الأيام أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبعد نظرا منهم وقد كان كسبا كبيرا للإسلام بل كان فتحا مبينا حيث تضاعف عدد المسلمين بعد الصلح أضعافا كثيرة بسبب الهدنة التى قام عليها الصلح . ثم أشارت على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم برأى صائب دل على رشدها الراسخ ، وهو أن يخرج إليهم ويستدعى غلامه ليحلق رأسه ، فإذا رأوا ذلك بأعينهم قلده عمليا وحلقوا رءوسهم . فعمل صلى الله عليه وسلم برأيها ونجحت فكرتها ، وسبحان المعطى الوهاب .

كيف تمت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة :

قال ابن اسحق : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة ، ولم يتخلف معه بمكة أحد من

المهاجرين إلا من حبس أو فتن ؛ وإلا على بن أبى طالب وأبو بكر الصديق رضى الله عنهما . وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله فى الهجرة ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا ، فيطمع أبو بكر أن يكونه .

وقال ابن اسحق : ولما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، وعرفوا أنهم نزلوا دارا وأصابوا منهم منعة . فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم . فاجتمعوا فى دار الندوة . وهى دار كانت لقصى بن كلاب . كانت قريش لا تقضى أمرا إلا فيها . يتشاورون فيما يصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه .

أقول : وقد كشف الله تعالى لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تشاوروا فيه بقوله سبحانه فى سورة الأنفال (وإذ يكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) . ومن هذه الآية الكريمة يتبين أن آراءهم اختلفت بين أن يحبسوه فى بيت يغلقونه عليه ، لكنهم خافوا أن يقاتلهم أهله بدافع العصبية ويخلصوه من أيديهم ؛ وبين أن يخرجوه من مكة ، ولكنهم خافوا أن يجتمع الناس عليه لحلاوة منطقه فيقاتلهم بمن يجتمعون عليه ؛ وبين أن يقتلوه قتل جماعيا بأن يختاروا من كل بطن من بطون قبائلهم شابا جادا فيشتركون فى قتله جميعا فيتفرق دمه فى القبائل ، فلا يقوى بنو هاشم على حربهم ، ويقبلون فيه الدية ، فإذا طلبوا إليهم الدية قدموها لهم . وهذا الراى الأخير هو الذى استحسنوه بعد التشاور فى دار الندوة .

يقول ابن اسحق :

فأتاه جبريل وقال له : لا تبت هذه الليلة فى فراشك الذى كنت تبيت عليه . فلما كانت عتمة الليل اجتمعوا على بابه ، صلى الله عليه وسلم ، يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعلى بن أبى طالب : نم على فراشى وتسج ببرى هذا الحضرمى فتم فيه ، فإنه لن يخلص إليك شىء تكرهه منهم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى برده ذلك إذا نام .

وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ حفنة من تراب فى يده ، وأخذ الله تعالى بأبصارهم عنه فلم يرونه . فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو الآيات الأولى من سورة يس إلى قوله تعالى (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الآيات ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع صلى الله عليه وسلم ، على رأسه ترابا ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب .

قال ابن اسحق :

فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال : ماتنظرون ههنا ؟ قالوا : محمدا ، قال : خيبكم الله ، قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ماترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟ فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائما عليه برده ، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا ،

فقام على رضى الله عنه عن لفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذى حدثنا .

أقول : وقد تعجبون من أنهم لم يدخلوا على النائم ليقتلوه ، وقد جاءوا لذلك ، ولكن يزول عجبكم إذا علمتم أنه كان من عادة العرب ألا يقتلوا النائم حتى يستيقظ . وكانوا يستعيبون أن يقتلوه فى نومه . وقد قال سيدنا على كرم الله وجهه متحدثا بنعمة الله عليه فى نومه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فديت بنفسى خير من وطىء الثرى ومن طاف بالبيت العتيق وبالبحر

ويقول ابن اسحق :

حدثنى من لا أتهم عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : كان لا يخطىء رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار إما بكره وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذى أذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة والخروج من مكة من بين ظهري قومه ، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة فى ساعة كان لا يأتى فيها .

قالت : فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث . قالت ، فلما دخل ، تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبى بكر إلا أنا وأختى أسماء بنت أبى بكر : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرج عنى من عندك ، فقال : يارسول الله إنما هما ابنتاى ، وما ذاك فدائك أبى وأمى ؟ فقال : إن الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة . قالت ، فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله ، قال : الصحبة . قالت

فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت
أبا بكر يبكي يومئذ . ثم قال : يانبي الله : إن هاتين راحلتان قد كنت
أعددتكما لهذا فاستأجرا عبد الله بن أريقط . وكان مشركا . يدلها
على الطريق ، فدفعنا إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما .
قال ابن إسحق :

ولم يعلم فيما بلغنى بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد حين
خرج إلا على بن أبي طالب وابو بكر الصديق وآل أبي بكر . أما على
فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره بخروجه ، وأمره أن يتخلف
بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي
كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة
أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده ، لما يعلم من صدقه وأمانته ،
صلى الله عليه وسلم .

وقد عقت على موقفهم منه صلى الله عليه وسلم ، فقلت فى كتابى
المسمى : رسول الله فى القرآن الكريم ، الذى نشرته دار المعارف :
فأنظر إلى غرابة موقفهم منه صلى الله عليه وسلم ، فإنهم كانوا واثقين
من صدقة وإمانته حتى ائتمنوه على أنفسهم . فلما دعاهم إلى الله كذبوه ،
مع أنهم لم يجربوا عليه كذبا من قبل ، بل وثقوا بصدقه كل الوثوق ،
وصدق سبحانه إذ يقول فى سورة الحج (فإناه لا تعمى الأبصار ولكن
تعمى القلوب التى فى الصدور) .

معجزة الغار :

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ومعه سيدنا أبو بكر

ثلاث ليال . وتتبع أعداؤه آثار الأقدام حتى وقفوا على باب الغار فرأوا على باب الغار نسيج العنكبوت كما رأوا على بابه حمامتين قد باضتا . فقال أحدهم : إن عليه عنكبوتا أقدم من ميلاد محمد . وتلك كانت معجزة أكرم الله تعالى بها نبيه صلى الله عليه وسلم ، حيث أوحى للعنكبوت أن تسد باب الغار بنسجها وأوحى للحمامتين أن تبيضاً على باب الغار . وحين أحس سيدنا أبو بكر بوجود الأعداء خارج الغار قال : يارسول الله ، لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ، فأجابته رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ، لاحتزن إن الله معنا ، فقال سيدنا أبو بكر : والله ما على نفسى أئـل (أى أحزن) ولكنى أخاف عليك .

ويقول فى تلك المعجزة سيدنا الإمام البوصيرى فى بردته رضى الله عنه :

وما حوى الغار من خير ومن كرم
فالصدق فى الغار والصديق لم يرما
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة
ومعنى يرما فى البيت الثانى أى لم يبرحا ، ومعنى أرم أى أحد . ومعنى
البيت الذى يليه أن الإثنين موجودان فى الغار والكفار يقولون ليس
به أحد ، لأنهم استبعدوا أن يحوم الحمام حوله ، أو أن ينسج العنكبوت
على بابه فى وقت لا يتسع لذلك .

الرحيل إلى المدينة المنورة :

وبعد مضى الليالى الثلاث فى الغار ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه إلى المدينة المنورة على ظهور الإبل ، وجعلت قريش لمن يرده عليهم مائة ناقة ، ولكن الله عصمه من كيدهم . وقد جزعت بنو هاشم (فرع مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش) لخروجه من بينهم حتى قالت عمته عاتكة بنت عبدالمطلب فى أسفها على خروجه ، مع أنها كانت لاتزال على دين قومها عندئذ :

أعينى جودى بالدموع السواجم على المرتضى كالبدر من آل هاشم
على المرتضى للبر والعدل والتقوى والدين والدنيا بهيج المعالم
على الصادق الميمون ذى الحلم والنهى والفضل والدعى لخير التراحم
ومن طرائف سيدنا أبى بكر أن بعض من يعرفونه كانوا يسألونه
فى الطريق عن معه ، فيقول لهم : إن معى هاديا يهديننا الطريق ، وذلك
خشية أن يتعرضوا بالسوء لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كشف
لهم عن اسمه .

الوصول إلى قباء :

وقد وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قباء ونزل على بنى عمرو بن عوف لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول حين اشتد الضحا ، وكان يوافق يوم الإثنين . وما أعجب يوم الإثنين فى تاريخ مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد ولد فى يوم الاثنين ، ونبىء يوم الاثنين ، وخرج من مكة مهاجرا يوم الاثنين ، ووصل إلى قباء . من

ضواحي المدينة . يوم الاثنين . وقد كنت فى طفولتى آنس بيوم الاثنين وافرح به ولا أدرى سر ذلك الأنا . فلما كبرت ووقفت على السير النبوية العطرة انكشف لى ما كان خافيا على . وسبحان من بيده مقاليد القلوب .

ومن طريف ما جاء فى كتب السيرة أن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع عمرو بن عوف ينادى غلامه ((يانجيج)) فقال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا أبى بكر : نجحت يا أبى بكر ، وكان صلى الله عليه وسلم يتفائل ولا يتشائم .

أول مسجد فى الإسلام :

وقد أسس مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد قباء . وهو أول مسجد فى الإسلام وقد ذكروا أن جبريل عليه السلام تحرى قبلته ؛ كما ذكروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أول من وضع حجرا فى قبلته ، ثم جاء سيدنا أبو بكر فوضع حجرا إلى حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم اخذ الناس فى البنيان .

وقد ورد فى الحديث الشريف الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((صلاة فى مسجد قباء كعمرة)) وفى الصحيح أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور مسجد قباء راكبا وماشيا . وقباء تبعد عن المدينة نحو ثلاثة كيلو مترات ، وهى جنوبى المدينة المنورة . وفى بعض التفاسير أن مسجد قباء هو المشار إليه فى قوله تعالى فى سورة التوبة (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم

فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين) . ويقول الإمام ابن كثير فى تفسيره : وقد صرح بأنه مسجد قباء جماعة من السلف ؛ ثم أضاف رضى الله عنه بقول : وقد ورد فى الحديث الصحيح أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فى جوف المدينة (أى المسجد النبوى) هو المسجد الذى أسس على التقوى ، ثم قال الإمام ابن كثير فى توفيقه بين الرأيين :

ولا منافاة بين الآية وبين هذا ، لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم ، فمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الأولى والأحرى . ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((المسجد الذى أسس على التقوى مسجدي هذا)) وروى الإمام أحمد بسنده عن سهل بن سعد الساعدي قال : أختلف رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد الذى أسس على التقوى فقال احدهما : هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال الآخر هو مسجد قباء . فأتيا النبى صلى الله عليه وسلم فسألاه فقال : ((هو مسجدي هذا)) .

أقول : وكان إمامنا مالك بن أنس رضى الله عنه يرى أنه مسجد النبى صلى الله عليه وسلم . وقد أفشوه فى رأيه وسنده ، فقال فى فقهه : أين كان يقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم . يشير رضى الله عنه إلى قوله تعالى فى الآية الكريمة (أحق أن تقوم فيه) . وهو استناد قوى كما ترون ، لأنه صلى الله عليه وسلم ترك قباء إلى المدينة بعد أيام قليلة من وصوله إليها .

سادتنا الأنصار يرحبون :

وقد فرح سادتنا الأنصار بمقدم مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الفرح . وقد سار إلى المدينة المنورة بعد أن أقام بضعة أيام فى قباء فغنت له بنات النجار الأغنية المشهورة :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بلأمر المطاع

وكان أصحاب كل بيت يمسون بزمام ناقته صلى الله عليه وسلم ويقولون : هلم إلينا يارسول الله ، إلى العدد والعدة والمنعة ، فيقول لهم : خلوا سبيلها فإنها مأمورة . حتى إذا أتت على دار بنى مالك بن النجار بركت أمامه وعلى باب مسجده الحالى ؛ فاحتلم سيدنا أبو أيوب الأنصارى رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدخله بيته . فأراد غيره من الأنصار أن يستضيفوا مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : المرء مع رحله كما قال : أنزل عند بتي النجار أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك . وبنو النجار من سادتنا الخزرج ، وكما هم أخوال جده عبد المطلب ، فهم كذلك أخوال أبيه عبد الله بن عبد المطلب . فانظروا إلى حرصه على صلة الأرحام وإن كان الجميع أبناءه وتابعيه فى الإسلام .

بناء المسجد النبوى :

وبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده المبارك حيث بركت الناقة . وبقي صلى الله عليه وسلم ضيفا على أبى أيوب النصارى رضى الله عنه إلى أن بنى المسجد وبنى مساكنه إلى جواره . وقد عمل فى المسجد

بيده الشريفة صلى الله عليه وسلم ، فقال قائل من المسلمين :
لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل
وعمل في المسجد المهجرون والأنصار ، وارتجزوا وهم بينونه :
لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم ارحم الأنصار والمهاجر
قال ابن إسحاق : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
لا عيش إلا عيش الآخرة . اللهم ارحم المهاجرين والأنصار . وارتجز
سيدنا على بن أبي طالب يومئذ :
لا يستوى من يعمر المساجدا يدأب فيها قائما وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا

أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قال ابن اسحاق :

وتلاحق المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبق بمكة
منهم أحد إلا مفتون أو محبوس ، واستجمع له إسلام الأنصار ، فلم
تبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها . وكانت أول خطبة خطبها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى :
حمد الله وأثنى عليه بما هو آله ثم قال :

((أما بعد أيها الناس ، فقدموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليصعقن أحدكم
ثم ليدعن عنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان
ولا حاجب يحجبه من دونه : ألم يأتيك رسولى فيبلغك ؟ وآتيتك مالا
وأفضلت عليك ، فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرون يمينا وشمالا فلا يرى شيئا
ثم لينظران قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقى وجهه من النار

ولو بشق تمره فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تجزى الحسنه عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
أقول : وكأنه صلى الله عليه وسلم شرح بجوامع كلماته هذه قول الله تعالى فى سورة فصلت (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار :

قال ابن اسحق :

وأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، فقال فيما بلغنا عنه . ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل . تأخوا فى الله أخوين أخوين ، ثم أخذ بيد على بن أبى طالب فقال : هذا أخى . أقول وقد مر عليكم فيما سمعتموه الليلة قول سيدنا على كرم الله وجهه فيما قال متحدثا بنعمة الله عليه فى تلك الأخوة التى شرفه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وحمزة سيد الشهداء عمى

محمد النبى أخى وصهرى

حكمة المؤاخاة :

قال السهيلي : أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه حين نزلوا بالمدينة ليذهب عنهم وحشة الغربة ، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض . فلما عز الإسلام ، واجتمع الشمل وذهبت الوحدة ، أنزل الله سبحانه فى سورة الأنفال (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) ، يعنى فى الميراث ؛ ثم جعل المؤمنين

إخوة ، فقال تعالى فى سورة الحجرات (إنما المؤمنون إخوة) يعنى فى التوادد وشمول الدعوة .

وأقول تعقيبا على الكلام المتقدم وإيضاحا له : جاء فى تفسير الإمام البيضاوى لقوله تعالى فى سورة الأنفال (إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض) أى أولياء بعض فى الميراث . وكان المهاجرين والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الأقارب حتى نسخ بقوله (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض) . ومعنى قوله تعالى (فى كتاب الله) أى فى حكمه أو فى اللوح أو فى القرآن . وأود أن أضيف أنه لا يخفى عليكم أن الكافر لا يرث المسلم وإن كان من أولى الأرحام .

بشرى للمهاجرين والأنصار :

قسم الله تعالى المؤمنين فى آية واحدة من آيات سورة الأنفال ثلاثة أقسام . فقال تعالى فى القسم الأول (إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) وهم المهاجرين . وقال فى القسم الثانى (والذين آووا ونصروا) وهم الأنصار الذين آووا النبى صلى الله عليه وسلم ونصروه . وقال فى شأن القسمين (أولئك بعضهم أولياء بعض) أى فى النصر والإرث . وفى القسم الثالث قال تعالى بعد ذلك فى الآية نفسها (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا ، وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعلمون بصير) . وقال فى بشرى المهاجرين والأنصار وهما القسمان الأولان : (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا

ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) . فبين تعالى بهذه الآية الكريمة أن الكاملين فى الإيمان هم المهاجرين والأنصار الذين حققوا إيمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق . وقد وعدهم سبحانه وعدا كريما بقوله (لهم مغفرة ورزق كريم) ثم ألحق بهم فى الوعد من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال تعالى بعد الآية السابقة (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) ، أى من جملتكم أيها المهاجرون والنصار .

وقد اختلف المفسرون فى معنى قوله تعالى (من بعد) . فقيل من بعد أى كانت هجرتهم بعد صلح الحديبية الذى تم فى السنة السادسة من الهجرة التى كانت فيهابيعة الرضوان ، وهى الهجرة الثانية وكانت قبل فتح مكة الذى تم فى السنة الثامنة . وقيل (من بعد) أى بعد نزول هذه الآية . وقبل (من بعد) غزوة بدر . وأنتهى الرأى أن الأصح أن المراد بهم أهل الهجرة الثانية لأنها بعد الهجرة الأولى ، وقد انقطعت الهجرة بعد فتح مكة لأنها صارت دار إسلام بعد الفتح . وقد قال المفسرون فى قوله تعالى (فأولئك منكم) يعنى أنهم منكم وأنتم منهم ، ولكن فيه دليل على أن مرتبة المهاجرين الأولين أشرف وأعظم من مرتبة المهاجرين المتأخرين بالهجرة ، لأنه تعالى ألحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم معهم وذلك فى معرض المدح والشرف ، ولولا أن المهاجرين الأولين أفضل وأشرف لما صح هذا الإلحاق .

استحكام الإسلام :

قال ابن إسحاق : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة

واجتمع إليه أصحابه من المهاجرين . واجتمع أمر الأنصار ، واستحكم أمر الإسلام ، فقامت الصلاة ، وفرضت الزكاة والصيام ، وقامت الحدود وفرض الحلال والحرام ، وتبوأ الإسلام بين أظهرهم .

الأذان للصلاة :

قال ابن إسحاق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة إنما يجتمع الناس للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة ، حتى رأى عبد الله ابن زيد صيغة الأذان فى رؤيا . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ، إنه طاف بى هذه الليلة طائف ؛ مر بى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده ، فقلت له : يا عبد الله : اتبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قلت ندعوه للصلاة ، قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ قلت : وما هو ؟ قال تقول : الله أكبر ، الله أكبر . الله أكبر ، الله أكبر . أشهد ألا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، أشهد أن محمدا رسول الله . حى على الصلاة ، حى على الصلاة . حى على الفلاح ، حى على الفلاح . الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله .

قال : فلما أخبر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فألقها عليه ، فليؤذن بها ، فإنه أندى صوتا منك ، قال : فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو فى بيته ، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يجر دراهه يقول : يانبنى الله ، والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فله الحمد على ذلك .

وفى رواية أخرى : ائتمرالنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة. فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس إذ رأى عمر بن الخطاب فى المنام قائلاً يقول له : لاتجعلوا الناقوس بل أذنوا للصلاة ، فذهب عمر إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليخبره بالذى رأى . وقد جاء النبى صلى الله عليه وسلم الوحي بذلك : فما راع عمر إلا بلال يؤذن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بذلك : قد سبقك بذلك الوحي .

غزوة بدر الكبرى :

ألف الله بالإسلام بين الأوس والخزرج من الأنصار بعد أن قامت بينهم عداوة شديدة فى الجاهلية . ويدلنا على ذلك قوله تعالى فى سورة آل عمران (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) . وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار كما سبق القول ، فازدادوا بالأخوتين قوة على قوة وصاروا يدا واحدة على أعدائهم ، وكانوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . وقاد جمعهم مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعون الله وقوته وتوفيقه من نصر إلى نصر .

وقد شرف الله المسلمين بالنصر العزيز فى غزوة بدر الكبرى التى وقعت فى السنة الثانية من الهجرة الميمونة . وكان المسلمون أقل عددا وعدة ، وكان عدد أعدائهم من كفار مكة يبلغ ثلاثة أضعافهم . وقام القتال بين الطرفين على غير ميعاد سابق ولا استعداد مدبر . وقتل المسلمون صناديد أعدائهم من أهل مكة . وكان الله تعالى أراد أن يكافئ على

التآخي الصادق فنصرهم مع قلة عددهم نصرا مؤزورا . واوحى للملائكة أن تقاتل معهم أعدائهم ، وكان انتصار المسلمين في غزوة بدر بداية سعيدة ، ومقدمة إلى انتصارات أخرى متلاحقة .

موقف مشرف للأنصار قبل القتال في معركة بدر

قامت بيعة العقبة . كما تعلمون . بين مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وساداتنا الأنصار ، على أن يحمى الأنصار الإسلام بالمدينة . وكانت بدر خارج المدينة وتبعد عنها أكثر من ١٥٠ كيلوا مترا . فقال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بدر : أيها الناس أشيروا على ، فقال سيدنا سعد بن معاذ رضى الله عنه : وكأنك تغينا يا رسول الله نحن الأنصار . فاعجب للوفاء والشجاعة والإقدام التي أبداه اكبار الأنصار ، حين تكلم عندئذ سيدنا المقداد بن عمرو قائلا : يا رسول الله امض لما أراك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام أذهب أنت وربك فقاتل إنا هاهنا قاعدون ، ولكن أذهب نقول : أنت وربك فقاتل إنا معكما مقاتلون . وقال سيدنا سعد بن معاذ : قد آمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق . أعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فأمض يا رسول الله لما أردت فنحن معك . فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته فخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عنك ، فسر بنا على بركة الله .

فسر كلامهم رسول الله صلى الله عليه فقال : سيروا وأبشروا

فإن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين . أى عير قريش التى كانت قادمة من الشام حاملة البضائع إلى مكة - وكان خروج المسلمين من المدينة يهدف إلى الإستيلاء عليها ، أو الإنتصار على قوات الكافرين التى جاءت من مكة لتحمل العير . فأفلتت العير ولم يستدل عليها المسلمون . ووقع القتال على غير ترتيب سابق له فى بدر مع الأعداء وحالف المسلمين النصر وصدق وعد الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى كسب إحدى الطائفتين .
مواقف مشرفة للصحابة المقاتلين فى المعركة :

وإذا كنتم قد سمعتم أقوال الأنصار المشرفة فانظروا لمواقف الصحابة الباهرة فى المعركة . فقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرض المؤمنين على القتال قائلا : والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير غير مدبرا إلا أدخله الله الجنة فقال سيدنا عمير بن الحمام من بني سلمة - وكان فى يده تمرات يأكلهن - بخ بخ (كلمة إعجاب) أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ؟ ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رضى الله عنه .

وحين صف مولانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الجند صفوفا لحظ أن شابا يقال له سواد بن غزية خارج عن محاذات الصف . فقال له تأخر يا سواد ، فتأخر قليلا ولم يحاذ الصف تماما ، فزجه فى بطنه رسول الله بعصاه ليتأخر مرة أخرى . فقال : أوجعتنى يا رسول الله وقد بعثك الله بالحق والعدل ، أصبر لى يا رسول الله حتى أقتص منك . فقال صلوات الله وسلامه عليه : أصبر . فقال سواد : لم يكن على قميص ،

ولكن عليك قميص . فحسر رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه عن بدنه ، فما كان من سواد إلا أنه قبل بطن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعانق رسول الله صل الله عليه وسلم في شوق عارم . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الذى حملك على هذا يا سواد قال : رسول الله ، حضر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر عهدى بك أن يمس جلدى جلدك ، فقال صلى الله عليه وسلم : جزاك الله خيراً يا سواد وقد مر عليكم ما كان من إقدام الصحابة على قتل الأعداء من الآباء والأقربين ، دون مجاملة على حساب الإسلام والمسلمين ؛ فسامهم الله تعالى حزب الله ، وقال فى ذلك (أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون) .

بشرى النصر

وكان مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرف على المعركة وهو فى عريش بنى له ، وكان معه سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه . وقد خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفته بعد ان دعا ربه بالنصر ثم أنتبه من خفته وقال : أبشر يا بكر ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع (أي الغبار) .

الملائكة تقاتل فى صفوف المسلمين :

وانظروا كيف كان الله تعالى يسارع فى تحقيق ما يرجوه منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه سبحانه فى سورة آل عمران (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلمكم تشكرون * إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من

الملائكة مسومين * وما جعله الله إلا بشئى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم * ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين) . فانظروا كيف تمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمدهم الله بثلاثة آلاف ، فأمدهم بخمسة آلاف ، فحقق رجاءه وزيادة . وتعجبوا من قتال الملائكة فى المعركة ، ولم يكن لهم عهد سابق بقتال البشر فعلمهما الله ما جهلوا ، وذلك ما يحكيه قوله تعالى فى سورة الأنفال (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألنى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) ، والبنان أى الأطراف . وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : لم تقاتل الملائكة فى يوم سوى يوم بدر ، وكانوا فيما سواه عدا ومددا لا يضربون .

غزوات أخرى :

وقد اهتز أعداء الإسلام بالنصر المؤزر الذى شاءه الله للمسلمين فى غزوة بدر الكبرى ، وتلاحقت بعد غزوة بدر الكبرى الغزوات العديدة . وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعا وعشرين غزوة . وقاتل فى تسع غزوات هى : بدر ، وأحد ، والخذق ، وقريظة ، والمصطلق وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف . أما بعوثة وسراياه صلى الله عليه وسلم ، فقد بلغت مائة وثلاثين ما بين بعث وسرية . وقد تضامن المهاجرون والأنصار فى تلك الغزوات أروع تضامن . وقاتلوا فى سبيل الله صفا كأنهم بنيان مرصوص حتى عز بانتصارهم الإسلام ، وثبتت بجهادهم فى الأرض كلمة الإسلام ، فضلا من الله ونعمة والله عزيز حكيم .

فتح خبير والترحيب بجعفر :

انتصر صلى الله عليه وسلم على اليهود بخبير بعد صلح الحديبية ، ولقيه ابن عمه جعفر بن أبى طالب عائدا من الحبشة (وهو زوجته أسماء بنت عميس) فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه ، وقال صلى الله عليه وسلم مرحبا به ؛ ((لست أدري بأيهما أنا أشد فرحا ، بلقاء جعفر أم بفتح خبير .

بين سيدنا عمر والسيدة أسماء :

عادت السيدة بنت عميس مع زوجها سيدنا جعفر بن أبى طالب من الحبشة ، فلقيا سيدنا عمر فقال لها : سبقناكم بالهجرة . أى إلى المدينة . فردت عليه ردا لطيفا قائلة : لقد كنتم بجوار رسول الله يطعمكم ويسقيكم ، وكنا فى بلاد غريبة نعانى ما نعانى من ألم الجوع والعطش ثم شكته إلى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لها : وماذا قلت له ؟

قلت له : لقد كنتم بجوار رسول الله يطعمكم ويسقيكم . . . فقال لها مطيبا خاطرها ، وكاشفا عن فضل أصحاب الهجرتين : ((له ولأصحابه هجرة ولكم أهل السفينة هجرتان)) أقول : وما أروع ما تغنى به حادى الركب وهم مهاجرون للحبشة :

الأهل	والأوطان	فراقهم	صعب
لكنه	الإيمان	فداؤه	القلب
والروح	والايدان	فليقبل	الرب
	فليقبل	الرب	

سلمان منا آل البيت :

أراد أعداء الإسلام أن يهاجموا المدينة المنورة . فأشار سيدنا سلمان الفارسي . رضى الله عنه . بحفر خندق يحول بينهم وبين الوصول للمدينة . وكانت تلك عادة الفرس مع أعدائهم . فأخذ مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيه فى غزوة الخندق . وجعل لكل من المهاجرين والأنصار قسما يحفرونه . وشارك سيدنا سلمان فى عملية الحفر ، وكان جلدا قويا ، فأراد المهاجرون أن يضموه إليهم وقالوا : سلمان منا ، فقال الأنصار : بل هو منا . ففصل فى الخلاف بينهم مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : سلمان منا آل البيت . وهذا الانتماء العالى إنما هو وسام شرف خالد ، كافأه الله تعالى به على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه رضى الله عنه أسلم وحسن إسلامه وأحب الله ورسوله بكيافته وجزئياته .

وكان إسلامه عجبا ، فقد هجر بلاده فارس حيث كانوا مجوسا يعبدون النار ، باحثا عن الدين الصحيح ، فذهب إلى الشام واتصل برجال الدين المسيحي ، وعلم منهم بظهور رسول من سلالة إسماعيل عليه السلام يظهر بمكة ويهاجر إلى يثرب (اسم المدينة قبل الإسلام) . فرحل من الشام إلى المدينة حيث سعد بقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقق من كل العلامات الدالة عليه وأسلم عن يقين .

وتذكرنى قصته هذه رضى الله عنه بأبيات من الإلهام الفورى المرتجل نقلناها استماعا من الولي التقي الملهم سيدى وشيخى الشيخ على عقل ، وهو يتغنى بأرض الحرمين ويهيم حبا فى الله ورسوله ، فقد قال رضى الله عنه :

دع زمانا مضى وعد يى لأرض شغفتنى بنورها المتلالى
بين ببداء روعت ووهاد وذئاب تختال فى إقبال
ونجوم مثل الحباب على الكأس تسامت أو كالحلى واللالى
قيل ماذا تريد من هذه الأرض أتبغى البقاء فى جمع مال
قلت والله غير أحمد مالى بعد رب العباد من آمال
يا حبيبى رضاك دنيا ودين فهما باتباعكم صحا لى
ياجميلا ما مثله من جميل كان البدر منك فضل الجمال
حب خير الورى أحب لنفسى من أنيسى وصاحبى وعيالى
بل ومنى ومن جميع البرايا لحماه الحياة أزجى رحالى
أما فى حب الله تعالى فقد نقلنا عنه الكثير من إلهامه الفورى الرائع
منمثل قوله طيب الله ثراه :

ألوذ بالله لا أبغى به بدلا ومن يلوذ بباب الله يسعده
أرضى به وهو يرضينى ويغمرنى بعفوه وبهذا العلم أعبده
أخلى فؤادى له من كل شائبة إن عشت ، أو مت أعضائى توحدته
وكيف أرضى بغير الله متجها والكل والجزء والأحشاء تعبدته
وكذلك قوله قدس الله سره :

إنى أحب إلهها لا شريك له والحب روحى وريحانى وتبتلى
ليلى نهارى أناديه وسسمعى وإن ينادى فكل السمع يزهولى
أحبه وفؤادى لا يفارقه وذكره حين من العيش بجلولى
لم أنسه لحظة بل لا أزال على باب التجلى وسر الحق بدنولى
وإنى كلما روحى احتجبت بددت حجبى بأذكارى وترتلى

إن لم تكن رحمة الرحمن تلحظنى عفوا أضيع وهذا خير مؤولى
مالى سواه وإن فرطت من زلل أجيئته بفؤاد بعد تذليلى

الغنمة والفيء :

الغنمة هى الأموال التى يغنمها المسلمون من أعدائهم بعد قتال معهم .
والفيء هو ما يغنمه المسلمون من أعدائهم بغير قتال . وقد قسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم غنائم بدر بالتساوى بين المقاتلين من المهاجرين
والأنصار . أما الفيء فأباح الله لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يقسمه كيفما يشاء . ويتبين ذلك من سورة الحشر التى نزلت فى شأن
ما أفاءه الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من أموال بنى النضير فى
السنة الرابعة من الهجرة . وكانوا من اليهود ، وكانوا يسكنون قريبا من
المدينة المنورة ، وكان رئيسهم كعب بن الأشرف . وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد هادتهم على ألا يكونوا معه أو عليه ، فخانوا ما عاهدوه
عليه ، وركب كعب إلى مكة وتحالف مع أبى سفيان بن حرب . وكان
لا يزال على كفره . ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقتل كعب فقتله أخوه من الرضاعة غيليه ، وصبح
رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير بالكتائب فحاصروهم حتى
صالحوه على الجلاء فجلا أكثرهم إلى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة
وأنزل الله تعالى سورة الحشر .

وجاء فى تلك السورة الكريمة قوله تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه
من خيل ولا ركاب لكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير * ما أفاء الله
على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وأبن السبيل كيلا
يكون

دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
وأتقوا الله إن الله شديد العقاب * للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا
من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله
أولئك هم الصادقون (.

ويقول الإمام القرطبي في تفسيره : كان المهاجرين في دور الأنصار ،
فلما غنم صلى الله عليه وسلم أموال بنى النضير دعا الأنصار وشكرهم فيما
صنعوا مع المهاجرين من إنزالهم إياهم منازلهم وإشراكهم إياهم في
الأموال ؛ ثم قال صلى الله عليه وسلم : إن أحببتم قسمت ما أفاء الله على
من بنى النضير بينكم وبينهم ، (وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى
في مساكنهم وأموالهم) وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دياركم .
فقال سعد بن عباد (رئيس الخزرج) وسعد بن معاذ (رئيس الأوس) :
بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا . ونادت الأنصار :
رضينا يا رسول الله . فقال صلى الله عليه وسلم : اللهم أرحم الأنصار
وأبناء الأنصار .

فلاح الأنصار :

أقول وما أهنأ سادتنا الأنصار بهذه الدعوة النبوية المستجابة المباركة
عليهم وعلى ذريتهم . وما أهنأهم بالفلاح الذي كافأهم به تعالى
على حبهم للمهاجرين وإيثارهم على أنفسهم . فقد قال تعالى في سورة الحشر
بعد الآية الأخيرة السابقة (والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم
يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو
كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)

وقد خص رسول الله . صلى الله عليه وسلم . المهاجرين بفىء
بنى النضير ، ولم يعط منه الأنصار إلا لثلاثة أشخاص فقراء .
فضل الهجرة :

وقد قلت منوها بأثر الهجرة إلى المدينة المنورة ، فى كتابى
(رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القرآن الكريم) .
ولك أن تعجب بأمر تلك الهجرة الميمونة التى جعل الله بها من الغربة
وطنا ، ومن الضعف قوة ، ومن الخوف أمنا ، ومن البعيد عونا على
القريب . والله يرجع الأمر كله ، فأعبده وتوكل عليه .
فرض الهجرة قبل فتح مكة :

ولأهمية الهجرة وأثرها فى استحكام الإسلام ، جعلها الله فرضا
مفروضا على المسلمين قبل فتح مكة . فقال تعالى فى سورة النساء
بالحجرات ومنذ المتخلفين عنها دون عذر شرعى (إن الذين توفاهم
الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فىم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض
قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم
وساءت مصيرا * إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستضعفون
حيلة ولا يعتدون سبيلا * فأولئك عسى الله أن يعفوا عنهم وكان الله عفوا
غفورا) .

وقد نزلت الآية الأولى فى جماعة أسلموا ولم يهاجروا دون عذر
صحيح ، وقتلوا فى غزوة بدر مع الكفار ، ولم يكن لهم أن يتركوا الهجرة
ويقيموا مع الكفار مع أنهم قادرين على الهجرة . واستثنى الله

المتخلفين بعذر صحيح وهم المستضعفون الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا .
ويحكى الله سبحانه ما تكذب به الملائكة المتخلفين عن الهجرة دون
عذر بقول الملائكة لهم عند الموت (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا
فيها) . وفى قوله تعالى ((أرض الله)) تشرىف للمدينة المنورة وأى
تشرىف فالأرض كلها لله ؛ ولكنه سبحانه خص المدينة فنسبها إليه .
كما خص البيت الحرام بنسبته إليه حين قال لسيدنا إبراهيم ولسيدنا
إسناعل عليهما الصلاة والسلام (طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع
السجود) كما شرف من الحيوان ناقة سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام
فى قوله تعالى (فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها * فكذبوه فعقروها
فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها) . وفى هذه المناسبة لا يفوتنا أن الله
تعالى شرف عباده الصالحين وأولياء المتقين بالانتساب إليه مرارا .
فسماهم تارة أولياء الله ، وتارة عباد الله ، وتارة عباد الرحمن ، وأخرى
حزب الله .

واستثنى الله تعالى من المتخلفين عن الهجرة أصحاب الاعذار الصحيحة
بقوله الكريم (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون
حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا
غفورا) . ويقول سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما : كنت أنا وأمى
ممن عفا الله عنهم ، (لأنه كان صغيرا ، وكانت أمه لا تستطيع الهجرة) .

حكم من خرج منبته ومات قبل الوصول :

وقد قال تعالى بعد الآيات السابقة (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرة وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحیما) . وفى ذلك وعد كريم بتسير أمر المهاجر فى سبيل الله بأن يجد مكانا يهاجر إليه وسعة فى الرزق على الرغم من قومه الكافرين الذين هجرهم فى مرضاة ربه الأعلى .

وقد ورد فى حاشية الإمام الجمل رضى الله عنه أنه حين نزلت الآيات السابقة (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم . . . الخ) بعث بها صلى الله عليه وسلم إلى مكة فتليت على المسلمين الذين كانوا فيها إذ ذاك . فسمعها رجل من بنى ليث شيخ مريض كبير يقال له جندب بن ضميره ، فقال : والله ما أنا ممن استثنى الله عزوجل فإنى لست ممن لا يستطيعون حيلة وعندى من المال ما يبلغنى إلى المدينة وأبعد منها . والله لا أبيت الليلة بمكة ، أخرجونى فخرجوا به على سرير حتى أتوا به التنعيم - وهى من ضواحي مكة . فأدركه الموت ، فصفق بيمينه على شماله ثم قال : هذه لك وهذه لرسولك ، أباعك على ما بايعك رسولك ، ثم مات . فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : لو وافى المدينة لكان أتم وأوفى أجرا وضحك المشركون وقالوا : ما أدرك ما طلب . فأنزل الله عز وجل قوله تعالى (ومن يخرج من بيته . . .) ومعنى قوله تعالى (فقد وقع أجره على الله) أى فقد وجب أجر هجرته على الله وهو إيجاب تفضل وكرم منه سبحانه لا وجوب إستحقاق .

ويقول العلماء فى تعقيبهم على هذا الوعد الكريم : يدخل فى حكم الآية من قصد فعل طاعة من الطاعات ، ثم عجز عن إتمامها فيكتب له الله تعالى ثواب تلك الطاعة كاملا ؛ لأن الآية نزلت فى معرض الترغيب فى الهجرة وأن من قصدها ولم يبلغها بل مات دونها فقد حصل له ثواب الهجرة كاملا . فذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على إتمامها كتب له ثوابها كاملا .

النساء المهاجرات :

قام صلح الحديبية على أن من جاء إلى المسلمين بالمدينة ردوه إلى مكة . فجاءت إلى المدينة بعض النساء المؤمنات فتعذر ردهن إلى الكفار . وأنزل الله فى هذا الشأن قوله تعالى فى سورة الممتحنة (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنوهن الله أعلم بإيمانهم فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لانهن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكوهن إذا آتيتوهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر وأسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم) .

وقد ورد فى تفسير الإمام البيضاوى أن سبيعة بنت الحارث الأسلمية جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمة ؛ فأقبل زوجها مسافر المخزومى طالبا لها فنزلت الآية . فاستخلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فأعطى زوجها ما أنفقه ، وتزوجها عمر رضى الله عنه .

الفرار بالدين :

وجاء فى تفسير الإمام القرطبى : قال ابن القاسم : سمعت مالكا يقول المراغم الذهاب فى الأرض . وقال الإمام مالك أيضا : هذه الآية دالة على أنه ليس لأحد المقام بأرض يسب فيها فيها السلف ويعمل فيها بغير الحق .

والهجرة التى كانت فرضا فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم وانقطعت بفتح مكة هى القصد إليه صلى الله عليه وسلم . أما الهجرة وهى الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام فهى باقية مفروضة إلى يوم القيامة . وجاء فى تفسير الإمام البيضاوى : عن النبى صلى الله عليه وسلم : ((من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كانت شيرا من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام)) .

ريح صهيب ربح صهيب :

يقول الله تعالى فى سورة البقرة (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد) . وقد جاء فى تفسير الإمام ابن كثير رضى الله عنه : قال ابن عباس وأنس وسعيد بن المسيب وأبو عثمان المهدي وعكرمة وجماعة : نزلت فى صهيب بن سنان الرومى . وقد حكى رضى الله عنه قصة هجرته الى المدينة فقال : لما أردت الهجرة من مكة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت لى قريش : يا صهيب إينا ولا مال لك ، وتخرج أنت ومالك ، والله لا يكون ذلك أبداً . فقلت لهم : رأيتم إن دفعت إليكم مالى تخلون عنى ؟ قالوا : نعم . فدفعت إليهم مالى ، فخلوا عنى فخرجت حتى قدمت المدينة . فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ربح صهيب ، مرتين .

وقد قال العلماء فى تفسير الآية (يشرى نفسه) أى يبيعها . (ابتغاء مرضاة الله) أى يبذلها فى طاعة الله طلبا لرضاه . وطاعة الله تشمل الصلاة والصيام والحج وجهاد الأعداء والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . فىكون ما يبذله المؤمن فى ذلك كالسلعة التى يبيعها فى شترها منه الله . والثمن هو رضاه الله تعالى وثوابه . وقوله تعالى (والله رءوف بالعباد) أى يعامل عباده برأفته سبحانه ، ومن رأفته أنه جعل النعيم الدائم جزاء على العمل القليل المنقطع . ومن رأفته أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها وأن المصر على الكفر ولو مائة سنة إذا تاب ولو لحظة أسقط عنه عقاب تلك السنين ، وأعطاه الثواب الدائم . ومن رأفته أن النفس والمال له ثم أنه يشتري ملكه بملكه فضلا منه ورحمة إحسانا .

أجيال المؤمنين للحقة للمهاجرين والأنصار :

يقول الله تعالى فى سورة الحشر بعد الآيتين الخاصتين بالمهاجرين والأنصار (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) . جاء فى تفسير الإمام البيضاوى أن الآية استوعبت جميع المؤمنين . وجاء فى حاشية الإمام الجمل : كل واحد من القائلين لهذا القول يقصد بمن انتقل قبله من غير فاصل وينتهى إلى عصر النبى صلى الله عليه وسلم . فىدخل فى إخوانه الذين سبقوه بالإيمان جميع من تقدمه من المسلمين . ولا يقصد بالذين سبقوه خصوص المهاجرين والأنصار لقصوره ، وإن كان أصل سبب النزول . وأعظم الآداب التى يربينا عليها كتاب الله الكريم ، فلا يفوت أحدا أن يدعو بهذا الدعاء فى كل وقت وخاصة بعد كل صلاة للذين سبقونا بالإيمان .

وما أرق سيدتنا أم المؤمنين عائشة حين قالت فى الذين يخوضون فى أعراض الصحابة الكرام : أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم ، وقرأت : (والذين جاءوا من بعدهم ..) وما أرشدها فى فقهاها . رضى الله عنها وعن سائر سيداتنا أمهات المؤمنين .

التاريخ الهجرى :

يرجع التاريخ الهجرى إلى خلافة سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . فقد شكاه له دائن من مدينة ، وقدم الشاكى لأمير المؤمنين سند الدين ، وفيه يقول المدين فى شهر شعبان أرد الدين البالغ قدره كذا . فقال أمير المؤمنين : أى شعبان ، هذا الحالى أو الماضى أو الآتى ، ورأى أن الأمر يقتضى أن يكون للمسلمين تاريخ معين . وكانت العرب فى الجاهلية قبل الإسلام يؤرخون بالحوادث الجسام التى عهدتها من غزوات وغيرها كعام الفيل . فتشاور أمير المؤمنين مع أولى الرأى من ساداتنا الصحابة . واستقر الرأى بعد التشاور على أن تكون الهجرة بداية للتاريخ الإسلامى المجيد لما كان للهجرة من آثار بالغة فى مجد الإسلام وعزته .

ولئن تمت الهجرة فى شهر ربيع الأول ، إلا أنهم رأوا أن يبدأوا العام الهجرى بشهر المحرم الذى تبدأ به السنة الهجرية . وفى هذه المناسبة أود أن أنبه مستمعى الكرام من إخوانى المسلمين وأخواتى المسلمات أن التاريخ الهجرى والشهور القمرية هى التى يرتبط بها اوقاتنا وعبادتنا . فقله تعالى مثلا (الحج اشهر معلومات) يشير إلى أن أشهر الحج تبدأ من أول شوال كل عام . وقوله تعالى (فمن شهد منكم

الشهر فليصمه) يشير إلى شهر رمضان الذى أوجب الله صومه . والحوول فى زكاة المال يحسب بالشهور القمرية . فالمزكى يختار لأداء الزكاة الحول المناسب له بالأشهر القمرية ، من أول المحرم مثلا إلى آخر الحجة ؛ أو من أول رمضان إلى آخر شعبان التالى ، وهكذا ولا يعتد بالتاريخ الميلادى .

كلمة ختامية :

وأختم محاضرتى بنصيحة وجهتها للمسلمين جميعا فى كتابى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القرآن الكريم وقلت فيها لكل مسلم : فأنظر كم تحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكم تحمل أصحابه . وكم قاسوا الشدائد واقتحموا الصعاب فى توطيد دعوة الحق . فلا تستهين أيها المسلم بدعوة الإسلام التى أتتك ببيضاء كاللبن ، من بين فرث ودم . وشد يديك على دينك ، واعتز به ، واحمد الله على هداك ، وانو الجهاد بنفسك ومالك ان دعيت للجهاد فى سبيل الله .

وجاهد نفسك التى بين جنبيك ، وألزمها آداب الإسلام ظاهرها وخفيها . فالآداب الظاهره حظ الجوارح ، والآداب الخافية حظ القلوب والارواح ، ولا خير فى ظاهر لا يتفق معه الباطن . وقد تعبد الله الجوارح بالأفعال وتعبد القلوب بالنيات ، واجتنب الفواحش الباطنه والأخلاق الشيطانية السيئه من الرياء والنفاق والحقد والحسد والتبرم بالمقدور والكبرياء والعجب والخيلاء وما إلى ذلك .

وأعلم أيها الاخ المؤمن أن أسلافك الشجعان الأمناء روالى ولك ولكافه المسلمين . وأنه كان من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم

الحياء ، والسخاء ، والتوكل ، والرضا ، والذكر ، والشكر ، والحلم ،
والصبر ، والعفو ، والصفح والرأفة ، والرحمة ، والمداراة ، والنصيحة ،
والسكينة ، والوقار ، والتواضع ، والأفتقار ، والجود ، والسماحة ،
والخضوع ، والقوه ، والشجاعة ، والرفق ، والاخلاص ، والصدق ،
والزهد ، والقناعة ، والخشوع ، والخشية ، والتعظيم ، والهيبة ، والدعاء ،
والبكاء والخوف ، والرجاء ، واللياقة ، واللجأ ، والتهجد ، والعبادة ،
والجهاد ، والمجاهدة ، ولا تستكثر ذلك على رسول الله صلى الله عليه ،
فقد شهد الله له تعالى بالخلق العظيم فى قوله الكريم (وإنك لعلى
خلق عظيم) فتخلق بأخلاقه ما استطعت الى ذلك سبيلا .

وادع الى سبيل ربك بكل ما تملك من وسائل ، وادع أول ما تدعو
نفسك التى بين جنبيك ، وهى الأقرب إليك ، لتؤدى حق الإسلام
عليك . ولتكن عنايتك بنشر الإسلام بعد ذلك بين أهله من المسلمين
فقد جانبوا أكثر آدابه الحقه ، وحادوا عن الصراط المستقيم . ولولا
أن الإيمان بالله ورسوله لا يزال يحيلهم ليئسنا من إصلاحهم . فقد تعادوا
إفراد وشعوبا وقبائل وأمما وكانو متحابين . وتحاسدوا وكانوا بما آتى
الله بعضهم فرحين . وأهملوا العبادت بعد أن كانوا بها يزدهرون .

وولعوا بتقليد غيرهم بعد أن كان الناس بهم يقتدون . وما أغناهم عن
التقليد ، وما أحوج غيرهم إلى عقيدة الإسلام وآدابه التى أغنانا الله بها
من فضله ، فوا إسلاماه ! وإذا كنا نغزوا ما حل بنا من فساد الأحوال
للإستعمار ، فقد نفضنا عارة عنا وصرنا أحرار فى بلادنا الإسلامية ،
وتهيات لنا الفرصه لإصلاح ما فسد .

فإن نحن أبرزنا أثر الإسلام فى سلوكنا كأمة ، كانت تلك أعظم دعاية

عملية للإسلام ، فاستغنيا بها عن كثير الكلام . ان الأمم الأجنبيةه رحبت بالإسلام حين رأوا من أسلافنا الصالحين عدلا شاملا فى الأحكام ، تنفيذ لأوامر الله . فقد قال تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) . فان نحن انتهينا عن الفحشاء والمنكر والبغى عادت لنا سيرتنا الأولى وكنا كأسلافنا صالحين .

لقد جاءك الإسلام يا أخى سهلا؛ لأنهم تحملو عنك فيه الصعب . فأذكر الفضل لأهله ولا تكن من الجاحدين . فما أبر الخلف إن ذكروا بالفضل السلف . وما أحق سلفك بوفائك ، وما أجدرهم بدعائك وهم فى رضوان الله . وقد صدقوا فيما عاهدوا الله عليه ، فأصدق معهم فيما أدبك الله به ووجهك إليه . وكيف تبخل عليهم بدعائك ، وقد جادوا من أجلك بأرواحهم ، وخلفوا لك السعادة فى إسلامك ، وأشكر لكم حسن استماعكم ، وكل عام وأنتم بخير من دينكم ودنياكم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

١٩ من المحرم ١٣٩٩ هـ

الثلاثاء

١٩ من ديسمبر ١٩٧٨ م

حسن كامل المطاوى